

حديثنا أيها الأحباء في هذه الأيام عن الصوم، وقد سمعنا الرب يسوع في المقطع الإنجيلي الذي تلي قبل قليل يتكلم عن الصوم، عن الانقطاع عن الطعام، عن الأكل. ما هو الصوم ولماذا نصوم؟

الصوم، نستطيع أن نقول إنه جوع لله. ولهذا فإن الإنسان بالصوم يقر ويعترف بما جاء على قول الرب إنه "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله". الإنسان عادة يتمسك بما يريد على هذه الأرض، يتمسك بكل شيء: بإرادته، بأنانيته، بجبروته، بأملكه، بما يشتهي من مأكول وطعام. يريد أن يتمسك بهذه الأمور ولا يتخلى عنها. لذلك فالصوم، في وجه من أوجهه الشاملة، هو هذا الجوع ليس إلى ما هو أرضي وإنما لما هو سماوي وكأنا نقول إننا نتخلى قليلاً عما هو أرضي، عن الأرضيات عن الفانيات، ونحاول أكثر أن نتمسك بالسماويات بالإلهيات. ولهذا، في الصلوات التي نرفعها في مثل هذه الأيام كما في هذا اليوم الجليل، نتكلم بالصلوات عن الصوم ونصفه بأشكال كثيرة.

قلنا فيما رتلناه هذا الصباح على سبيل المثال: "انفتح ميدان الفضائل"، والكلام عن الصوم، فالصوم إذاً ميدان للفضيلة. وأيضاً: "وافي الزمان الذي هو بدء الجهادات الروحية"، فالصوم هو مسيرة جهاد يقوم بها الإنسان في داخله كي يتخلى عن كل إثم وكي يتخلى بكل الفضيلة. نعم، الواحد منا يا أحبتي يصوم، يصوم بالجسد فينقطع عن أكل اللحم عن أكل الزفر والبيض ومنتجات الحيوان، ولكن هذا الصيام ليس الصيام كله. فالإنسان من نفس وجسد وهو يقدم ذاته بالكلية لله، بنفسه وجسده. ولهذا يصوم الإنسان أيضاً بنفسه بأن يسعى جاهداً أن يتعد في حياته عن كل إثم، عن كل نعمة، عن كل بغضاء، عن كل كبرياء، عن كل هوى وعن كل ضعف بنعمة الرب، وأن يلتصق أكثر فأكثر بالحبة وبالأتضاع وبكل أمر صالح. يجاهد الواحد منا إذاً في الصوم بكلية، بنفسه وجسده، ساعياً على قول الرب لأن ينمو بالنعمة والقامة أمام الله وأمام الناس. ولهذا تذكر إحدى الترانيم التي رتلناها في هذا الصباح أيضاً: "فلنتدرّع بالإيمان كسور وبالصلاة كدرع وبالصدقة، أي الإحسان، كخوذة وبالصوم كالسيف الذي يتر من

القلب كلّ رذيلة". نعم يا أحبة هذه هي الأسلحة الروحية، إذا جاز التعبير، التي نحاول أن نتسلّح بها. الإيمان والصلاة والإحسان والصدقة والصوم، لأنّ هذه تساعدنا على أن يبتدئ الواحد منّا من قلبه كلّ رذيلة. ولهذا تدعوننا الكنيسة قبل الصوم مباشرة بأن نتذكّر هذا الأمر بأن نواظب على الصلاة ونواظب على الصوم بعزم طاهر كي لا نصوم صيماً جسدياً فحسب وذلك بأن نكتفي بالانقطاع عن بعض المأكّل، كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: "ماذا تنتفع إذا امتنعت عن أكل اللحم وكنت تنهش لحم أخيك بكلامك وفمك". تذكّرنا الكنيسة بأن نصوم هذا الصوم المقبول أمام عيني الربّ والمرضي أمامه، والصوم المرضي أمام الربّ هو هذه المسيرة: مسيرة الإنسان بكامله، بكلّ كيانه، بقلبه، بعقله، بذهنه، بروحه، بجسده، بأحاسيسه، بكلّ عضو من أعضائه، هي هذه المسيرة للإنسان الذي أحبّ الله ويبحث عن الله ويريد أن يتطهّر ويقترب إلى هذا الإله المحبّ الذي أتى إلينا ومات من أجلنا على الصليب وداس الموت، وقام كي يقيمنا ويجعلنا أبناء النور وأبناء القيامة، ويجعلنا معه في ملكوته مع معشر القديسين الذين أرضوه. ولهذا عندما نتكلّم عن الصوم نتكلّم عن القيامة أيضاً، فالصوم مرتبط بالقيامة لأنّ البعد الأخير للصوم هو أن نتطهّر بالقلب والذهن والجسد، وعندما يتطهّر الإنسان قلباً وجسداً وذهناً، تحلّ نعمة الله فيه ويستتير، فترفعه هذه النعمة الإلهية ويكون بالتالي في القيامة. يقول طوبى لأنقياء القلوب فإنّهم لله يعاينون.

فالصوم، إذاً، هو هذا الجهاد الذي يسعى الإنسان فيه أن يقدم ذاته للربّ كالعروس، طاهراً خالياً من كلّ إثم، خالياً من كلّ خطيئة، بنعمة ذلك الذي قام من بين الأموات؛ هو المبارك وهو الممجّد إلى الأبد، آمين.